مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 05 (01) جوان 2021 ص ص 469-485

التربية الجنسية بين الجندر والطابو في عالم متغير

Sexual Education between Gender and Taboo in a Changing World

إبراهيم بن عرفة[1*] بشيرة عالية[2]

[1] قسم اللغة والثقافة الأمازيغية، مخبر الجزائر دراسات في التاريخ الثقافة والمجتمع، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني: brahim.benarfa@univ-batna.dz

[2] قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر (الجزائر).

البريدي الالكتروني المهني: bachira.alia@univ-batna.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021/05/01	2021/05/05	2021/06/01

الملخص:

أخذ موضوع التربية الجنسية في العقد الأخير حيزا كبيرا من الاهتمام، للباحثين في مختلف التخصصات، وكان كل منهم متأثرا بنزعته الفكرية والتيار الذي ينتمي إليه فجعل تلك اللمسة تظهر في تناول السلوك، ضمن مصفوفة النفسي الاجتماعي والتي بدورها تخضع دوريا وباستمرار للتغير، ما يجعل منها ظاهرة تطرح الأسئلة اتجاه الفرد والمجتمع، الحرية، الهوية والعولمة، إلى غاية اتخاذها من الجسد فضاءا رسميا لممارسة هاته التربية، لكن الجسد الأنثوي كان دوما ذلك الغموض الذي يتوق إلى اكتشافه الجميع، وهنا يكمن موضع الخلل لماذا؟ فهل يجعل الجسد الأنثوي الغامض من فئة الذكور أناسا جاهلين جنسيا؟ أم أن التربية الجنسية التي لم يتلقاها مختلف الأفراد في مراحلهم العمرية الأولى هي السبب في ظهور مثل هاته القضايا؟

الكلمات المفتاحية: *التربية الجنسية؛ التنشئة؛ الجندر؛ التابو؛ المقدس.*

Abstract:

The subject of sexual education has taken a great deal of attention, in the last decade, from different scholars within various disciplines, and each of these scholars has been influenced by his own intellectual abstraction and his field of interest, a fact which

* **المؤلف المرسل**

made this topic appearing to deal with behaviour within the psycho-social matrix which, in turn, is a constant periodic changeable subject. This makes it a phenomenon that raises questions towards the individual and the society, freedom, identity and globalization until taking it from the body as a formal space to practice this education. However, the female body has always been that mystery which everybody needs to discover. And here lies the question why? Does the mysterious female body make the males sexually ignorant? Or does the reason lie behind the sexual education which has not been received by different individuals at a fairly early age?

Keywords: *Sexual education; breeding; gender; taboo; sacred*

مقدمة

أصبحت التربية الجنسية، ضرورة ملحة في عالم يتميز بالتطور والتغير الشديد، مع انتشار الوسائل التكنولوجية التي تسمح بانتشار مختلف الظواهر الجنسية وسهولة الحصول عليها والوصول إليها من مختلف الاشخاص وخصوصا فئة الأطفال، ولما كانت فئة المراهقة هي الغالبة على الأفراد أثناء اكتشافهم لمكوناتهم الجنسية والعضوية، خلال فترة بناء شخصية الفرد على المستويات الجسدية، القيمية، والاجتماعية، في زمن أصبح يتميز بالتحرش الجنسي الذي صار متداولا بكثرة في الفترات القريبة الماضية سواء على النساء أو الأطفال، من خلال الألفاظ النابية الجنسية، أو المثيرات الإباحية كالصور والأفلام، أو الممارسة الجنسية المباشرة والتي تحيل الطفل أو المراهق إلى عقدة جنسية لا تحمد عقباها.

كما أصبحت كل المواضيع المتعلقة بالجنس، عبارة عن مواضيع مزاح وسخرية في التبادل الكلامي اليومي بين الأصدقاء، ومادة لا يستهان بها للوصم الاجتماعي، فالعرب الذين كانوا يملكون رصيدا لا يستهان به من الخطاب والبلاغة الجنسية، لم يعد لديهم اليوم مفهوم للجنس في الكتابات الخاصة بهم، وكذا جنوح المجتمع العربي إلى تمجيد سطوة الذكورة على الجندر الذي يكافح للخروج من بوتقة التعريف البيولوجي، للوصول إلى التعريف به ضمن خانة الجنس الاجتماعي الكائن والموجود روحيا وجسديا دون أن يكون دوره بيولوجيا صرفا.

سيكون تناولنا لهذا الموضوع تناولا نظريا بحتا من خلال: ما آتت عليه أهم الدراسات الاجتماعية بمختلف تخصصاتها حول موضوع التربية الجنسية، مؤسساتها، دورها في تكوين الفرد والحفاظ على المجتمع، وأهم ما آتى به الباحثون في هذا المجال لأن موضوع التربية الجنسية والثقافة الجنسية في حد ذاته ما يزال موضوعا ممنوعا من الخوض فيه، إنها (التربية الجنسية) المحرم (التابو) المعرفي لدى الشعوب العربية، وكذا أنظمتها الحاكمة فدراستها بالضرورة ستكشف اللثام عن وجود ممارسات وسلوكات جنسية غير سوية ولا شرعية، مع إجماع تام بعدم الخوض فيها ولا دراستها بحجة أنها ليست أولوية ضرورية لدرأ الكثير من المشاكل الاجتماعية التي تحدث في الساحة اليومية، وكل محاولة للخوض فيها تقابل بسيف الفتنة والشرع لما تشكله من خطورة في كسر عقائد المجتمع وقيمه.

هذه الخطورة تبرز وتنمو وتؤثر سلبا إذا عالج أولياء الأمور سلوكات أطفالهم على أنها انزلاق أخلاقي أو أنه سلوك سلبي أو انحراف مزاجي، ومن هنا يميل المراهقون والشباب إلى تحقيق نشوة في قالب ثورة جنسية تتجاوز أحيانا إطار الأخلاق والآداب والسلوك القويم (بوحديبة، 2000، ص 129).

وعليه فإنه يمكن التكهن بوجود عملية رد فعل معاكسة في الاتجاه للأطفال أثناء تقدمهم في السن تدريجيا، حيث لا يوجد تواصل أسري أو تربوي يرافق الطفل حتى مرحلة المراهقة وما بعدها، ما يعطينا منتوجا مصقولا لتجاذبات وصراعات المجتمع والأسرة، اللذان وضعاه ضمن قالب فكري محدد مسبقا لايديولوجيات الدين، الثقافة، الوضع الاجتماعي المعاش...، وكذا كل ما له صلة بعمليات التنشئة بمختلف مؤسساتها، والتي يمكن أن تجعل بواسطة قوالبها النمطية الجاهزة من هذا المراهق إنسانا منحرفا.

والملاحظ هو انتشار هذه المظاهر بين مختلف المجتمعات وليست مقيدة بالمجتمع الجزائري أو المجتمعات العربية... بل الكثير من المجتمعات التي تجعل من الجنس

موضوعا طابو (محرما/TABO) ممنوعا من الخوض فيه، فتجعل معارف الأطفال تصطدم بجدار الصمت من طرف الأهل، ولا يكتشف ما يريد اكتشافه إلا بعد فوات الأوان، ربما كان هذا سببا في انتشار الكثير من الجرائم ذات الطابع الجنسي بين فئات الاطفال والمراهقين، من خلال ما سبق:

– ما مفهوم التربية الجنسية، والثقافة الجنسية؟

– كيف تناول علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هذا الموضوع ومن أي الجوانب النظرية تم إسقاطه؟

– هل اعتماد التربية الجنسية في مؤسسات التنشئة الاجتماعية كفيل بمعالجة بعض السلوكيات المنحرفة؟

كلها أسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال عرض بعض الأفكار الخاصة بأهم السوسيولوجيين الذين تناولوا هاته الظاهرة.

أولا: الأبعاد السوسيولوجية للظاهرة الجنسية

تذهب بنا الدراسات الإنسانية المتخصصة إلى النحو تجاه المساهمة التحليلية للظاهرة الجنسية بإرجاعها إلى أصولها الاجتماعية، والأطر الدينية المحددة للظاهرة في بعدها السلوكي والأخلاقي، وكل هذا داخل الإطار العام الذي يحدده المجتمع عبر مؤسساته الرسمية، المساهمة في التنشئة الاجتماعية كل منها بدورها التوعوي والتنشئي (يوسف، 2001، ص 18).

وأول بعد من هاته الأبعاد هو البعد اللغوي، حيث يقر صلاح الدين المنجد، أن اللغة الجنسية عند العرب لغة غنية، كثيرة الألفاظ الدالة على النكاح وأسماء الأعضاء التناسلية ويرى ان الحاجة إلى تسمية الجنس وكل ما يتعلق به يعكس وجود حاجة اجتماعية ماسة وملحة إلى ذلك، ولما كانت اللغة مرجع فكريا هاما ورصيدا لا يستهان به، وربما لا يعلم الكثير من الناس اليوم بوجود مؤلفات عدة في البغاء، اللواط، السحاق، التي فقد منها

الكثير فيما سبق من العصور الماضية التي رافقت فترات العباسيين وصولا إلى فترة حكم العثمانيين (الديالمي، 2008، ص07)، أما المجتمعات العربية الحديثة فقد تميزت بالعكس تماما علميا وتربويا، إلى حد أن أصبح موضوع الجنس أو التربية الجنسية كابوسا يفر منه الجميع وهاجسا لا يمكن البوح به.

البعد الثاني: هو المقاربة الإنسانية للحواس والمشاعر المرتكزة على الإحساسات والحب، التواصل وغيرها كأبعاد محددة للجنس، يمكن معالجته كبناء سوسيو تاريخي يتجاوز الحاجز البيولوجي العضوي، وقد تبنت **منظمة الصحة العالمية** تعريف الجنس كما يلي: "... **الجنس هو المجموع الخصائص البيولوجية التي تقسم البشر إلى ذكر وأنثى، يقابلها الإتصال الجنسي الممثل في الممارسة التي تلزم اتصال الأعضاء الجنسية ببعضها البعض، من جهة ومن جهة مقابلة الجنسانية الممثلة في الجانب المركزي للكائن البشري المكون من الخصائص البيولوجية المميزة للجندر والخصائص الاجتماعية بين الرجل والمرأة، وما تحمله من هوية جنسية، توجه جنسي، رغبات، معتقدات، قيم، هوية نوعية، أنشطة، ممارسات...**" (WHO, 2002).

أما البعد الثالث للظاهرة الجنسية: فهو التربية الجنسية في حد ذاتها، فهي تربية تنشيئية تقوم على تداخل العناصر المختلفة الاجتماعية والنفسية، تساهم في تطوير صورة نمطية لدى الطفل والمراهق في سنواته العمرية الأولى، حتى لا تصبح هاته القضية هي شغلهم الشاغل، ويميزون بيولوجيا بين أعضائهم ووظائفها (Freuid, 1962, P 98)

ويقول الباحث عبده النعمي: "... **تشكل امتلاك الذكر لذكورته الجنسية وامتلاك الأنثى لأنوثتها الجنسية ... تربية أخلاقية قائمة على شرح وتقديم قواعد الضبط الاجتماعي المتعلقة بالرموز والآداب والإشارات المباحة وغير المباحة في وسط الجماعة الاجتماعية، وتحديد ما هو مقبول وما هو غير مقبول من السلوكات الجنسية المعلنة**

وغير المعلنة، بمعنى إتاحة الفضاء الحامي الذي يمنع حدوث انحرافات جنسية..." (النعمي، 2008).

1. الترسانة المفاهيمية.

ربما كان للدراسات النفسية والاجتماعية خصوصا في مطلع القرن الماضي التأثير المباشر على رسم الإيديولوجيات وإخضاع مختلف العقول، بتوجيهها نحو موضوع معين بمساعدة وسائل الإعلام في فترة تزامنت مع استعمال الجسد الأنثوي كمثير غريزي (وسيلة إشهارية) للكسب السريع والربح، خاضع هو أيضا للأيديولوجيا الدينية حسب طبيعة التركيبة الاجتماعية في كل بلد، وفي المقابل يظهر جسد المرأة المسلمة كأداة لمقاومة العولمة اللباسية، وما ترمي إليه القيم الجنسية الليبرالية الفردية، وتصبح جميع مواضيع التربية الجنسية محورها هو هذا الجسد المخفي في ظلال الدين أو الممارسات الدينية التي تريد ان تعريها العولمة (الديالمي، 2008، ص15).

ويؤكد عبده النعمي ذلك بقوله: "**... التربية الجنسية مرتبطة ارتباطا عضويا فاعلا بكل ما يمس هياكل المجتمع ومؤسساته من نشاطات حركية ومن تبدلات في الأدوار والمكانات وما تقتضيانه في النفس وفي السلوك الإنساني وفي المواقف من انطباعات وتأويلات وشبكة رموز تتبادلها جماعات الذكور والإناث للتعبير عن مطالب، رغبات، أشواق، طموحات، نزوات، أو حتى انحرافات جنسية ممكنة، بمعنى أن النسق الاجتماعي القائم هو الذي سيتحول إلى واقع فارض نفسه كل الفرض ضاربا عرض الحائط القيم والمعايير والأنماط الأخلاقية المحددة للمسلكيات الجنسية...**" (النعمي، 2008، ص124). وتصبح الغريزة الجنسية هنا على حد قول فاطمة المرنيسي (1988: 133) إلى اختلاس اجتماعي متعدد الأشكال يحيل إلى الفوضى الجنسية نتيجة عدم احترام حقل مكرس لغويا منذ الأزل، يتجه دوما حتى في الأساطير والروايات إلى تمجيد عظمة

الذكورة وتفوقها، كما أشار إلى ذلك الطاهر لبيب (labib, 1973, P 69) فكان ولابد من تعريف الجنسانية، الجندر، التابو، التربية الجنسية، وتحديد إطارها المفاهيمي كما يلي:

الجنسانية: حسب قاموس علم النفس هي مجموعة الظواهر الجنسية (المتصلة بالجنس) التي يمكن ملاحظتها في عالم الأحياء، كما أنها مجموعة متنوعة من طرق الإشباع الجنسي التي يمكن أن تحدد وراثيا، إضافة إلى أنها تلقينية، مكتسبة وتصاغ دائما انطلاقا من قواعد اجتماعية، وهذا يعني أنها "ظاهرة متغيرة تخضع لثقافة المجتمع" (جرجس، 2018، ص25).

التابو: كلمة بولينيزية حديثة مألوفة قديما لدى الرومان، بكلمة SACER وينطوي الطابو او التابو على دلالتين متعارضتين هما المقدس والمدنس وعكس التابو هو NOA أي العادي وما يقع في متناول الناس عامة، وربما كان أقرب مصطلح لشرح هو الخوف المقدس أو المسكوت عنه (Freuid, 1962, P 31)

الجندر: مصطلح تم استحداثه للدلالة على النوع الاجتماعي مقابل التقسيم البيولوجي الذي يميز بين الرجل والمرآة بناءا على الأعضاء التناسلية، وبالتالي فالجندر هو في أصله بيولوجي ومرجع أساسي للمميزات الاجتماعية التي تخص الرجال والنساء، كما يمكن وصفه بأنه الخصوصية الثقافية التي تطبع الفرد لاكتساب صفته ضمن معشر الرجال أو النساء (حيرش و أمال، 2018، ص176).

أما **الجنس** هو: "الضرب من كل شيء، وهو من الناس، ومن الطير، ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة، والجمع أجناس وجنوس، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله (ابن منظور، 2002، ص43)، وهو اتصال غريزي بين الذكر والأنثى، والجنسي هو المنسوب إلى الجنس.

ويعرف الجنس اصطلاحا بأنه: "تلك العاطفة الجسدية ما بين الذكر والأنثى كما في كلمة Sex في اللغة الانجليزية" (الجزائري، 1992، ص11) أي كل ما يمكن للتربية تقديمه في

مجال الجنس ابتداء من مرحلة الطفولة بتنمية الصفات المميزة للذكور أو الأنوثة (فرويد، 1997)، والعمل على تنمية تلك الفروق حتى يتأهل الطفل لوظيفته في الحياة الأسرية، وإرشاد الجنسين إلى المنهج الصالح في مجال الجنس وتربيتهم على ذلك المنهج لتحقيق الغاية من الدافع الجنسي (العزام، 2015، ص102).

وفي هذا السياق أشار الباحث الفرنسي آلان دوكولو Alain Duculot في كتابه "قواعد التربية الجنسية" أن الجانب الحاسم والحيوي في برامج التربية الجنسية يكون في الكثير من جوانبه التطبيقية ":متقيدا بمدى ونوع هذه العمليات التربوية تحت طائل عموميات ومشتقات ورواسب الثقافة الجنسية" (Alain, 1978, P 121).

بمقارنة التعريفات السابقة لمفهوم التربية الجنسية أو التثقيف الجنسي نجد أن هناك اختلافا جذريا وواضحا لدينا في هذا المفهوم بحكم الخلفية الفكرية والعقائدية، الاجتماعية، الاقتصادية وحتى البيئية وهو ما آتى عليها الباحث الجزائري مالك شبل في كتابه روح السراري: "... **إن التربية الجنسية تدخل في واقع المسكوت عنه، اللامفكر فيه واللامفصح عنه... سلسلة من التابوهات محجوبة بجدران عازلة من الصمت العجيب...**" (شبل، 2010، ص5) وهي من بين القضايا التي تؤسس لانثروبولوجيا العلاقات العامة أو الحياة اليومية، عليه وانطلاقا من هذا النص يفتح لنا الباحث الباب للوقوف أمام وضعية نفسية اجتماعية لا تراتبية، فالمجتمعات الغربية التي واكبت التقدم العملي والعلمي الهائل في ساحة التقنية، التزمت بمبدأ الحرية والفردانية في التصرف، فأصبحت الثقافة الجنسية حرية شخصية في إطار ليبيرالي لا يردعها القانون بمجرد وصول الشخص إلى سن 18 سنة، وغير مستندة إلى الأخلاق والقيم الخاص بالمجتمعات والمتعارف عليها منذ الأزل، وهو ما يحيلنا إلى أن المجتمع أصبح يمارس نوعا من النفاق الاجتماعي من خلال ثقافة المسكوت عنه اجتماعيا (بن عرفة وعالية، 2019، ص80).

إضافة إلى ما سبق سالت الكثير من الأقلام في البحوث والدراسات كي تؤسس للفصل بين التربية الجنسية، والصحة الجنسية وهو ما يعود بنا إلى المعادلة السوسيولوجية التي يقول من خلالها الفرنسي بيرنارد بيريليي Bernard Perrilier "... **التربية الجنسية تكون نمطية ومعيارية ولا تكون الثقافة الجنسية كذلك Perrilier فكل مجتمع يحتفظ بخصوصية هوياتية ونمطية معيارية خاصة تحدد صورة وشكل ووظيفة الجنس وممارساته، وبالتالي تصير المجتمعات مختلفة بثقافاتها الجنسية ولا تكون كثيرة الاختلاف من حيث مشاريعها حول التربية الجنسية...** " (Bernard, 1989, P 121)

2. التابو أين تتخندق التربية الجنسية:

تعتبر مجتمعاتنا العربية مجتمعات الفحولة، وهي المجتمعات التي تقوم في أساسها على تمجيد العقلية الذكورية، وتقيم دوما الحجة على الانثى مقيمة عليها الحد لسلامة بكارتها، وبالتالي فهي تنحو نحو العضوية والوظيفية، فالعضوية تقوم على سلامة الأعضاء بداية من طقوس الختان الخاصة بالطفل الذكر، الذي يعلن مباشرة منذ ختنه دخوله إلى عالم الفحولة المقدس وسلامة الأنثى في بكارتها وحضوتها دوما في منزلة الشرف، الشرف الذي تحمله عائلتها بجميع أفرادها إن حافظت عليها سلامة لغاية اداء وظيفتها لمعلوم هو علاقة الرجل بالمرأة في إطار إشكالية البكارة، ويسقط هذا الشرف المقدس الواهي المترهل إن لم تحافظ عليه (بن عرفة وعالية، 2019، ص75).

وبمجرد ما ان تريد المرأة تغيير وضعيتها الجنسية تلبية لرغبة غريزية، في إطار ما قبل الزواج تختلف عنها في المجتمعات الغربية عن العربية، ففي الأولى ستقابل بالترحاب والمساعدة وتقبل الأهل تبعا لمرجعيتهم وعقيدتهم... وغير ذلك كما أسلفنا، أما في العربية والإسلامية فستسقط لعبة الشرف وتنهار فكرة البكارة لأنها لم تعد صالحة لممارسة وظيفتها الاجتماعية الممثلة في عقد التحالفات الزواجية القائمة على نظرية المبادلات الاجتماعية بين العائلات العربية كما يقول مالك شبل "... **اعطيناكم عريسا**

فحلا... اعطونا عروسا بكرا.. " (شبل، 2010، ص101). وهو ما يحيلنا إلى النظرة البيولوجية للجنس فالبذرة لا تنمو إلا في أرض بكر لم تطأها شوائب ونقية من كل درن... ومن ثمة فكل علاقة خارج هذا الإطار المقدس تطأها كل أشكال الإقصاء والتهميش وتوصم بكل انواع السباب واللعن وتصبح شماعة تعلق عليها كل حالات الانتكاسات التي تصيب عائلتها، وقصة تشبة قصة الغول في الحضارات البائدة والقريبة... وبالتالي تصبح التربية الجنسية حبيسة أو رهينة لسجن التابو الذي يجبر مرتكبا العلاقة الجنسية خارج الزواج إلى ابتداع نسيج عائلي جديد وهو الزواج بالإكراه بينهما لدرأ الفضيحة التي هزت أركان المجتمع. هنا تدخل التربية الجنسية دائرة التابو من خلال الفحش اللفظي (شبل، 2010، ص71) أي الكلام البذيء المؤذي لنفسية الإنسان بكل أنواع الوصم، فتختفي نهائيا وراء تابو الممنوع والمسكوت عنه (بن عرفة وعالية، 2019، ص 80)، ولا يتم ممارستها في العائلات الجزائرية، والعربية الإسلامية عموما والتي تسمح بتكوين النشأ تكوينا آخر، غير الذي يتلقونه ويسمح لهم بالتعامل مع كل القضايا الجنسية تعاملا عقلانيا ويزودهم بمضمون قيميا، يجعل مفهوم الجنس مفهوما خاليا من الإباحة والسيطرة والعنف والاستغلال، ويدعم التماسك الأسري ويقوي المناعة العائلية خصوصا عند نبذ كل أشكال التمييز على أساس النوع بين الإخوة والأخوات.

3. التربية الجنسية ضرورة ملحة:

الملاحظ أن التعامل مع التربية الجنسية في المدرسة الجزائرية منعدم تماما، ولا يوجد ما يشير إليها إشارة، إلا من خلال مقررات العلوم الطبيعية في المرحلة المتوسطة من التعليم، وبعض المفاهيم الخاصة بالنوع والجندر في مقرر التربية المدنية، ولم يتجرأ المشرعون ولا القيمون على التعليم والتربية في الجزائر على استحداث هذا المقرر التربية الجنسية، إلا أنه لا ينفى وجودها في البرامج الدراسية للعلوم الإسلامية ما يجعلها معارف قيمية دون شقها العلمي والتقني، من جهة ومن جهة أخرى العلوم الطبيعية التي هي

معارف علمية دون قيم سلوكية، وعليه يصبح سؤال التربية الجنسية سؤالا مخيفا مع تجذره في جميع مفاصل الحياة اليومية بممارسات واضحة وأخرى خفية "... **فالمؤسسة التربوية الرسمية لا بد أن تقوم بدور تكويني توجيهي كبير...، وذلك بضرورة التركيز بالجمع بين مهامها الأساسية في التوجيه والتنشئة... لأن الأهمية التي تنطوي عليها التربية الجنسية كأسلوب تهذيبي توجيهي للغرائز الجنسية... في إطار الارتباط الغرائزي الوثيق بين الدائرة الفطرية الممثلة في الغريزة الجنسية والدائرة السلوكية الممثلة في الانطباع النفسي الاجتماعي الذي يشكله الفرد عن ذاته وعن غيره من الجنس المخالف**..." (النعمي، 2008، ص114)، وهو ما يحدث لدى الكثير من المراهقين حيث يستخرجون معلوماتهم الجنسية بعيدا عن الجو الأسري، ما يشكل خطر وقوعهم في الفوضى الجنسية وعليه كان ولا بد من تفعيل دور كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية من الأسرة والمدرسة والمسجد... كل حسب دوره ووظيفته لممسح الضباب الذي يتسم به هذا الموضوع ووضعه في إطاره الصحيح ضمن مقاربة تسعى إلى تطوير المجتمع والرقي به.

ثانيا: الهوية بين التربية الجنسية والجندر

جاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن جانبا مهما من التربية الجنسية يستبطن جزءا معتبرا من الصحة الجنسية، وظروف وقاية هذه الأطراف من السلوكات الجنسية المنحرفة، فاكتساب موقف جنسي صحي هو بطبيعة الحال إفراز وانعكاس لموقف تربوي أخلاقي إيجابي وسليم، وهكذا تتظافر الواجهتان لتشكلا في الفرد قيما وأخلاقيات تجعله يقدر الطرف الآخر، ويتعامل معه في حدود أخلاقيات إنسانية ملؤها الاحترام (WHO, 2002)

تهدف التربية الجنسية في موضوعها إلى تعريف كل فرد بوظيفته ووظيفة الآخر في الحياة، وتهدف العقلية العربية إلى محو كل ما له علاقة بالجنسية المثلية، وهي العمود

الفقري للتربية الجنسية التي يتلقاها الطفل في أيامه الأولى، فيتم حرمان الطفل عن قصد بجملة من المصطلحات والتعابير من أي اهتمام محتمل قد يشعر به نحو صديقه في اللعب، هذا الحرمان المشروط هو عبارة عن بناء فكري مقصود يصاحب الطفل طوال حياته حتى يتجنب الإنحراف (بن عرفة و عالية، 2019، ص78) وهو ما يثبت فيما بعد من خلال الزواج الذي يؤكد على الرغبة في الطرف الآخر المختلف عنا، إنه الخيار الجماعي الذي تكفلت المنظومة التربوية منذ الطفولة الباكرة بتقييد ورسم الإطار الذي ينتمي إليه.

1. الفصل بين الجنسين:

إن عملية الفصل بين الجنسين ترسم الملامح الأولى لثقافة العيب، وأنواع الشتم والوصم الاجتماعي الذي يرافقه فكثيرا ما نسمع، (حمد مرية) في كناية على الأطفال متخنثين الذين يعيشون في العالم الوردي بين النساء، (عائشة راجل) كناية عن الفتاة المسترجلة التي تخرج كثيرا... وهو ما أشار إليه **بيير بورديو** (Pierre Bourdieu) في دراسته للمنزل القبائلي من خلال نظريته الرمزية التي تقوم على مبدأ التقابلات، وهنا مربط الفرس في التربية الجنسية بين مدلولات مصطلح المقدس ونقيضه المدنس، الذي يحدده المجتمع دونما أدنى اعتبار للجنس كجندر بل كأعضاء تناسلية تفرض الفصل بين الذكوري منها والانثوي.

وهو ما تؤكده **فيرجينيا وولف (Virginia Wolff)** بقولها: "... المجتمع مثل كائن للتآمر، يبتلع الأخ الذي يملك الكثير منّا مبررات احترامه في الحياة الخاصة، ويفرض مكانه ذكراً متوحشاً ذا صوت يزمجر وقبضة قاسية (...) يستمر في طقوسه الصوفية، وقد تحلى بالذهب والأرجوان وتزين بالريش المتوحش، متمتعاً بالملذات المشبوهة للسلطة والهيمنة، فيما نحن نساؤه يُغلق علينا في منزل العائلة، من دون أن يُسمح لنا بالمشاركة..." (بورديو، 2009، ص17)، ويؤكد ذلك **بورديو** (Pierre Bourdieu) في

نظريته الرمزية على أن الذكورة تفرض نفسها ضمن النظام الاجتماعي المهيأ لإنتاجها آليا، متأسسا على التقسيم الجنسي للأدوار والعمل والتوزيع الصارم للنشاطات الممارسة لكل من الذكر والأنثى وهذا لأنها تخضع لجبرية الفضاء التجمع المخصص للرجال في السوق، والنساء في المنزل والتقسيمات الاعتباطية الخاضعة للقوة في العمل، فالطفل منذ صغره يتم تعويده على مهام التسوق والحمل، ورفع القمامة وكل الأعمال التي تعوده على الشعور بالمسؤولية كرجل، والفتاة يتم توجيهها آليا نحو أشغال المطبخ والنظافة وكل ما يتعلق بمهام المرأة داخل المنزل.

وبالتالي فالفصل المبكر بين الجنسين على حسب **مالك شبل**، معطى يجربه كل مراهق خلال عودة مكررة إلى سلوكات تعويضية، تقوم على تخيل الآخر الذي لا يماثلنا... إنها لغة الجنس بامتياز، والتي تصبح لغة للجندر عند أداء الوظائف الاجتماعية، خصوصا لما تكون حلقة المحرمات التابو كبيرة وقريبة في نفس الوقت وهذا المثال كان منتشرا لدى الأسر الممتدة، حيث يحرم ممارسة أو تخيل أي اقتراب جنسي بين المراهق وبنات العمومة أو بين المراهقة وأولاد العمومة، في نفس الأسرة الممتدة... ويسميه مالك شبل بطقس رفع النجاسة بين الفرد والمجتمع منذ نعومة الأظافر (بن عرفة وعالية، 2019، ص78).

كذلك نجد مثالا مهما في الفصل بين الجنسين من خلال تقنين السلوكات التي تدخل في دائرة التحريم والتقديس، ويتم التقيد بها، إنه قطب الممنوع الجنسي داخل الحمام، فارتياد الحمام بين الجنسين يفرض تعاقبهما على الحمام في أغلب مناطق الوطن، وقبل دخول الحمام تقام دائرة الجبرية الحتمية التي تفرض تجانب كل ما له علاقة بالآخر، حيث يتم التخلص من بقايا الماء وآثار الغسل وكل الأغراض التي توحي بدخول أحد الجنسين إلى غرف الحمام الساخنة لتقع دائرة تراتبية أكبر من هاته الدائرة بين نفس أفراد الجنس في علاقات تنم عن التعامل باحترام مع الاكبر سنا.

2.بناء الهوية الجنسية:

في جميع الدول العربية ومنها الجزائر تعتبر كل الأنظمة النسق الجنسي نسقا ثنائيا وتراتبيا في نفس الوقت، وهو الذي يتضمن قطبين، قطب رفيع فاعل مسيطر مشكل من الرجال، وآخر مفعول به خاضع مكون من النساء... وبالتالي كسبت مكانة دونية لا تستحقها (الديالمي، 2008، ص16) حيث تعود كما ذكرنا آنفا على مفهوم الشرف الذي تلصقه بها عائلتها منذ نعومة الأظافر وصولا إلى ليلة الزفاف، لأن العقلية التراثية للمجتمع رفضت رفضا قاطعا الخوض في أساليب التربية الجنسية، الصحيحة والقويمة لعلاج جزء كبير من الكوارث التي تحصل بسببها.

وقد كان الضمير التراثي منذ الآزل يعطي المكانة الدونية للمرأة وحتى لآهلها بواسطة سيف الشرف رابطا عذرية العروس بشرف العائلة، فكل عملية تمس شرف العروس حتى ولو كانت مجرد أخبار كاذبة في غرض الإشاعة تجعل أفراد العائلة الذكور يصابون بالأرق، لأن المحكمة المجتمعية ستصمهم بالعار وتحول فعل الوطيء الذي يلحق بالأنثى قبل الزواج حتى ولو كلاميا، جميع الرجال في العائلة تحويلا رمزيا إلى نساء، أي ذكور بلا فحولة، ورمزية المجتمع في هاته الحالة تفرض على الرجولة قدرة الفعل وقدرة منع الفعل، أي المراقبة (الديالمي، 2008، ص11)، وكأنها تحول الرجال في العائلة إلى حراس للمعبد المقدس الممثل في الشرف، فتصبح قضايا الشرف والقتل والاعتداء على الأصول من أكبر القضايا التي تعجز أمامها المحاكم المدنية والجزائية.

هنا كان لا بد للتربية الجنسية أن تلعب دورا مهما في عملية بناء الهوية الخاصة بالأفراد من منظور الجنس كواجهة بيولوجية طبيعية من جهة، والجنس الجندري كواجهة اجتماعية من جهة أخرى لأن الهوية الجنسية تتضح معالمها في الأطوار الأولى لعمر الطفل، فيصبح موجها اجتماعيا بفضل العنف الرمزي الممارس من قبل العائلة كلها تجاهه كطفل فيحمل مسؤوليات الرجولة، العائلة، الشدائد وكل ما يتضمنه عمل الرجال الأشداء

لتعويده على روح المسؤولية وهو في سن حساسة من جهة، ومن جهة ثانية على الفتاة التي تولد موجهة لعنف رمزي ناعم على حد قول **بورديو** من خلال الطرق الرمزية للاتصال وإسكاتها امام أخيها وأبيها، والاعتراف بالخضوع المطلق لهيمنة الرجل وهي في الحقيقة هيمنة عضوية تتصف معالمها بالذكورة وفقط (بورديو، 2009، ص08)، وكل محاولة منها للرفض والعصيان والانتفاض تقابل بجلد شديد من قبل المجتمع وتوصم بشتى انواع الوصم.

خاتمة:

كل هذه المظاهر توحي بوجود تربية جنسية في المجتمع يعترف بها الجميع ضمنيا، ولكنها غير ظاهرة للعيان يحرم الخوض فيها...، لأنها تندرج ضمن فكرة العيب والمسكوت عنه هاته الثقافة المتسربة في أقصى درجات لا وعينا، ما يجعلنا ننتج أو نعيد إنتاج خطاب مهيمن مستهلك ربما ليس صالحا لكل زمان ومكان يعيد صياغة الاختلافات بين الجنسين ويردها إلى العيب دوما وعدم الخوض في الموضوع بينما نحن في الحقيقة نمارسه في كل جزء من اجزاء حياتنا، ولأن علم الاجتماع دوما يسعى للكشف عن الملابسات الحقيقة للواقع وتجريده فقد صور بورديو التربية الجنسية بشكل عام، من خلال طقوس المرور من الأنوثة إلى الفحولة عبر ثلاث مراحل أساسية:

- فصل الأم عن الطفل في المراحل العمرية الأولى ويمثل اول طقس في مجتمعاتنا العربية والإسلامية الختان وهو التمهيد الاولي لدخول عالم الرجال.
- المرحلة الثانية تعويده على مفارقة المنزل في محيط خارجي غير مألوف، المدرسة والشارع.
- المرحلة الثالثة تجربة الألم والاحتمال وتعويده على النشاطات المختلفة كالعمل الجهد العضلي واكتشاف طريقة الحصول على المال...

كل هاته المراحل يتم شرعنتها على تحقير الأنثى في العالم العربي، وأن مكانتها المنزل والولادة والتربية وغير ذلك من النظرات الدونية، وما كانت الدراسات التي تجرى وتقام إلا لمحاولة كشف اللبس عن بعض هاته الممارسة ومعالجتها.

قائمة المصادر والمراجع

الجزائري, ع. ا .(1992) .*التربية الجنسية في الاسلام* .القاهرة: الدار المصرية.

العزام، م. ن .(2015) .تحليل محتوى كتب الثقافة الإسلامية للمرحلة الثانوية في ضوء مفاهيم التربية الجنسية. *مجلة المنارة، م 21 ع 02* .

النعمي، ع2008) .، .(20 06 التربية الجنسية بين تأثير الاسرة ومقتضيات الخصائص التعليمية في مقرر علم الاحياء .*رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي* .الجزائر، الجزائر: جامعة الجزائر.

بغداد حيرش، وليلى أمال. (2018). مفهوم الجندر في الأطر النظرية. *مجلة التدوين*(11)، صفحة 176.

بن عرفة، إ ؛ عالية، ب. (2019) .(01 06 المسكوت عنه (التابو) في التواصل الاجتماعي بين المقدس والمحرم في انثروبولوجيا الحياة اليومية .*انثروبولوجيا*،(01)*05* ، Récupéré .83 -68 .pp sur https://www.asjp.cerist.dz/en/article/92105

بيار بورديو. (2009). *الهيمنة الذكورية*. (سلمان قعفراني، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

جرجس، س. (2018) .(01 09 واقع التابو الجنسي بين الثقافة البطريركية والدين .*أنثروبولوجيا*، *4*(01), pp. 25-38. Récupéré sur https://www.asjp.cerist.dz/en/article/75750

جمال الدين محمد ابن منظور. (2002). *لسان العرب*. بيروت: دار المعرفة.

عبد الصمد الديالمي. (2008). *سوسيولوجيا الجنسانية العربية*. بيروت: دار الطليعة.

عبد الوهاب بوحديبة. (2000). *الجنسانية في الإسلام*. (ترجمة محمد علي مقلد) تونس، تونس: دار سراس للنشر.

فاطمة المرنيسي. (1988). *الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع*. (ترجمة فاطمة زريول) المغرب: دار الفنك.

فرويد، س .(1997) .*الطوطم والحرام*. (ترجمة ج. طرابيشي)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

فهام يوسف. (2001). *الدليل التربوي للحياة الجنسية*. (ترجمة زينب مسلم) الجزائر، الجزائر: دار المغرب.

مالك شبل. (2010). *الجنس والحريم وروح السراري السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير*. (ترجمة عبد الله زارو) المغرب: إفريقيا الشرق.

Alain, D. (1978). .*Les Fondements de l'éducation sexuelle.* Paris: Hatier.

Bernard, P. (1989). *Psychosociologie de la sexualité.* Paris: Plon.

Freuid, S. (1962). *Trois essais sur la sexualité.* (B. R. Jouve, Trad.) Paris: Gallimard.

labib, T. (1973, avril-juin). langue arabe et sexualité. *l'homme et la société*(28), p. 69.

WHO. (2002). *Challenges is reroductive and sexual health: technical consultation on sexual health.* world health organization. génneve: world health organization.